ميشـال شـيحا في ما وراء الرؤيـــا

كلمة النائب الاستاذ تقي الدين الصلح
لمناسبة احتفال النـــدوة اللبنانيـــة
بصدور كتاب " فلسطين " لميشال شيحا
يوم الاثنين ١٠ ك ١٩٥٨

سادتي :

في اليوم الذى بدأت تتكون فيه على هذه الارض اللبنانية العزيزة فكرة الانبعاث العربي ، ولاحت للخيال في منتصف القرن الماضي رؤيا المصير الحر ، كان القدر يهيء لنا ، في رؤوس طائفة من البشر مبعثرة مطاردة عاشت على الانعزال الحاقد عشرات القرون ، مصيرا آخر يحمل لهذه الديار الذل والدمار .

الانعتـاق العربـي :

لقد ولدت فكرة الانعتاق العربي ، على ارضنا ، حين كان يولد على ارض بعيدة ، مولود ينازعهـا في الحياة قسمة واحدة .

وعلى نحو ما يكون في الاساطير ، واجه هاتف الخير في العرب منذ ولادته مخلوق الشر الذى في تكوينـــه زرع الخـــراب .

سادتي :

ان ميشال شيحا لجدير ان يعتبر بما فكر وكتب ودعا ، في طليعة من ادركوا في عمق غور وسعة أفق وبعد مدى ، كل ما تنطوى عليه الصهيونية من بلاء .

رأى شيحا في قيام دولة اسرائيل تهديدا للبنان ولسائر البلدان العربية وللشرق كله .

رفض قيام هذه الدولة وناهض التقسيم ووقف عند حد القبول لدولة فلسطينية فيدرالية يكون فيها اليهود أقلية تتمتع بأنظمة اجتماعية ومذهبية خاصة . تلك الدولة التي رضيت الدول العربية بقيامها ورفضها اليهود وانصارهم من الامم المتحدة .

وقد وجد في ما أفسح العرب لليهود من مجال العيش والاشتراك في هذه الدولة الفيدرالية ، تسامحا انسانيا بليغا وسخاء كبيرا ما عهدوا شيئا منه طول تاريخهم الا في ظل الحكم العربي وفي بلاد العرب.

وعندما قضى قرار هيئة الامم الذى يعتبر مفكرنا الولايات المتحدة مسؤولة اولى عنه بانشاء اسرائيل ، قال ، وهو الانسان ذو المنهج الاعتدالي والنزعة المسالمة ، بالمقاومة حتى الحرب .

أما الهزيمة فقد عزاها الى تخاذل بعض الحكام في البلاد العربية امام نفوذ الاجنبي المستمد من المواثيق والمعاهدات ، والى تواطؤ بعض اصحاب العروش مع ذلك النفوذ .

سادتي :

لو كتب لميشال شيحا ان يعيش فوق ما عاش سنة او اثنتين لا اكثر ، لعلم الى اى حد كان صادقا في رؤياه .

حقيقـــة اســـرائيـــل

لقد توقع ، في جملة ما توقع ، ان تكون اسرائيل سببا لاشاعة القلق والاضطراب في هذه البقعة من بقاع الدنيا . وتوقع ان يجر وجودها هنا النزاع بين الجبابرة الى قلب المنطقة . وتوقع ان تصبح في يوم من الايام منطلق حرب عالمية طاحنة . وهو ما كاد يكون في ازمة العدوان على السويس .

سادتي :

ان الايام التي نعيشها تحرينا كم أخطأ اولئك الذين بنوا حسابهم على وضع العرب امام الامر الواقع ، واتكلوا على الزمن في ايهان المقاومة العربية .

فالثورة التي تجتاح اليوم البلاد العربية وتمتد الى جذور اوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتحدث فيها اعمق الانقلابات ، جاءت تشهد بسلامة جوهر هذه الامة ، وكفاءتها على مجابهة اكبر التحديات

ولئن كان في الهزيمة التي لقيها العرب على ارض فلسطين مرارة ما فوقها مرارة ، فانها بما خلقت في نفوسهم من الارتياب بحاضرهم واوضاعهم ومؤسساتهم ، قد لعبت في تاريخ هذه الامة دور تجربة الشك التي ترد الى اعظم الايمان .

ان الامة العربية اصبحت لا تقبل ، بعد الهزيمة ، ما كان يمكن ان تقبله قبل الهزيمة .

لقد تغلبت في موضوع فلسطين وما تزال ترسخ كل يوم المبادئ التي تنفي كل ما يشبه انصاف الحلول والمداواة الجزئية واعتبار الامر الواقع .

قضيـــة فلســطين

ان المنطق العربي الجديد يرى انه ما دام قيام اسرائيل كان امرا غير مستحيل فان زوالها لا بد ان يكون امرا ممكنا ·

ونستطيع ان نقول ان مذهبا متكاملا في فهم القضية وطريقة معالجتها يكاد يتكون :

اولا — لقد قامت اسرائيل على السيف ، وعلى السيف تبنى كل مطامعها وتهيىء كل يوم من ايام مستقبلها · انها شر قائم ومتنام على الامة العربية وعلى سلم العالم · فمن حق القوة بل من واجب القوة ان تزيل هذا الشـــر ·

ثانيا — ان دولة يهودية في فلسطين مهما تضيق مساحتها تبقى خطرا كاملا ، فغاية الصهيونية ليست ايجاد ملجأ لليهود بل ايجاد ملك ينسخ تاريخا ويحدث تاريخا · والمسألة في النهاية ليست مسألة حدود انما هي مسألة وجود او لا وجود ·

ثالثا — ان قضية العرب الذين شردوا من ديارهم في فلسطين بالرغم من كونها جزءا من قضية فلسطين ، ليس على حلها يتوقف حل هذه القضية لا كليا ولا جزئيا · وان الحل ليس في عودة هؤلاء العرب الى أرضهم ، وانما هذا هو عودة هذه الارض الى العرب ·

رابعا — ان الاستعمار قد اوجد اسرائيل لتبقى به ويبقى بها · فبينهما اشتراك مصلحة اصيل · وكل اضعاف للاستعمار كيف كان وانى كان اضعاف لاسرائيل · ومعركة العرب مع الاستعمار هي في الوقت نفسه معركة مع اسرائيل ·

خامسا — ان في مقدمة القوى التي يواجه بها العرب اسرائيل ، الوحدة العربية · فهي بطبيعتها لا تحتمل وجودا صغيرا او كبيرا لاسرائيل · تبدأ بحصرها وتنتهي بازاحتها ·

سادسا — ان الحرب ضد اسرائيل حرب مستوى لا حرب ميدان فقط · يجب ان لا تكون افضلية العرب مقصورة على تفوقهم في العدد ، بل يجب ان تكون لهم ايضا الكفاءة النوعية ·

وكل تقدم في التنظيم السياسي والاجتماعي او الاقتصادي ، او كل خطوة في حقل الفكر والعلم والتكنيك ، مزيد من القدرة على مواجهة اسرائيل وازالتها ·

سابعا - ان كل حل جزئي لقضية فلسطين لا يمكن الا ان يكون فيه نفع للصهيونية ، وجميع المحاولات المعروفة القائمة على الحلول الفرعية هي فرص حياة لاسرائيل . ومن الان حتى يصبح العرب في ذروة القدرة يبقى الوضع القائم الان على ارض فلسطين افضل الحلول السيئة .

نتائج النكبة :

ان الثورة التي احدثتها نكبة فلسطين لم تقتصر على اطراح مبادئ واحداث مبادئ خاصة بهذه القضية فحسب. بل بدلت المفاهيم والقواعد السياسية العامة تبديلا كليا ، ووضعت في مواطن الحكم مقاييس كانت حتى امس القريب وقفا على عدد غير كبير من العاملين الموصوفين بالتطرف والخيالية .

فالتفكير الذى يقرر ان قوة العرب انما تأتي من العرب انفسهم ، وان الاتجاه الواحد في التعامل الدولي طوق لا يمكن البقاء عليه ، وان المحالفات انما هي دائما لمصلحة الطرف الاقوى دون الاضعف ، وان الحياد الدولي موقف ممكن للعرب ومفضل . ان هذا التفكير وغيره مما يتصدى للتكوين الاجتماعي والاقتصادى بالتبديل الاساسي قد اصبح منهج حكومات كما اصبح مطلب شعوب .

سادتي :

عندما فرضت القوة وجود اسرائيل كان جواب ميشال شيحا صيحة تنذر اسرائيل ومؤيديها بحرب المائة عام .

بهذه الكلمة الكبيرة ، رمز الرجل الكبير الى العناد العظيم الذى يقابل به العرب اقتطاع البقعة المقدسة من ديارهم .

وبها ، عبر عن الالم الذى ولد عند العرب ، ما ولد من التفكير الجذرى في حل قضية فلسطين .

وبها ، اخيرا ، اعلن التزام لبنان دورا اصيلا ضخما في هذا الصراع الذى فرض على العرب جميعا .

ان لبنان بالاضافة الى مساهمته في الاستعداد العربي العام لاسترداد فلسطين ، مؤهل اكثر من سواه لان يؤدى في هذا المجال نوعا معينا من المهام .

انه ينقص العرب نقصا كبيرا ان يعرفوا اسرائيل . ان امرها يكاد يكون مجهولا لديهم ، مجهولا لدى الجاهل والمتعلم ، لدى الكاتب والموجه ، لدى السياسي والعسكرى ، بل لدى المسؤول على الاطلاق . مع ان اسرائيل والصهيونية واليهودية العالمية هي من المواضيع التي يؤلف ما كتب ويكتب فيها باقلام ابنائها ومواليها وخصومها مكتبة قد لا تضاهيها في الضخامة مكتبة ، نرى مع الاسف ان العرب بمعزل لا عن البحث

العلمي في الخضالموضوع فحسب بل حتى عن المطالعة الجدية فيه • اننا نعتقد ان لبنان هو الموطن المعد قبل سواه لسد هذه الثغرة • وان معهدا علميا للتعرف الى اسرائيل والتعريف بها منشأ ومسيرا ومقصدا هو من اجل ما يمكن ان يقدمه لبنان من مساهمة في النضال من اجل فلسطين •

دور لبنـــــان :

كذلك يستطيع لبنان ان يلعب دورا خاصا في الصراع المعنوى الذى يخوضه في العالم العرب ضد الصهيونية • ان الصهيونية قد ضللت جزءا كبيرا من الانسانية • وحربنا ضدها في بعض نواحيها وبهذا السبب عينه اشد صعوبة من حربنا ضد الاستعمار • فبينما هو محكوم عليه شرعا حتى عند المستعمرين انفسهم ، تظهر اسرائيل لفريق من العالم كيانا شرعيا له حق الوجود •

ان لبنان اذ اعرف كيف يخرج مغتربيه من نطاق سياسات محلية ضيقة ، ويشرك البلاد العربية في تقدير قوة هؤلاء المغتربين تمكن من ان يواجه الصهيونية في كل مكان توجد فيه • وهو ، بماله من الاتصال المباشر بالقوة الروحية المسيحية العالمية ، يملك من الوسائل بهذا الحراك المعنوى ما لا يملك سواه •

سادتي

لقد كان لبنان بفضل طليعة منه من اسبق البلدان العربية تنبها لاغراض الصهيونية •

وحسبنا ان نذكر في هذا الباب ما سجله التاريخ من فضل الوزير سليمان البستاني الذى نبه الخليفة العثماني الى الاخطار العظيمة التي تنشأ عن التسليم بأى امتياز مادى او معنوى يطلبه الصهيونيون في ارض فلسطين •

ولئن سجل التاريخ للبستاني الكبير هذا السبق في التخوف من اطماع الصهيونية ، فان للمفكر ميشال شيحا ميزة الوعي الكامل والادراك التام لهذه الاخطار •

لم ينافس عقل شيحا في فهم موضوع فلسطين الا ايمانه العميق ، ولم يسبق علمه المتين واطلاعه الواسع وخبرته المحنكة الا احساسه الملهم •

ان وجه الرجل الذى نتحدث عنه لم يغب عن هذا العالم الا وقد خلف وراءه من اصدقائه ومريديه ما يكاد يكون مدرسة قائمة بذاتها • وانها لمدرسة نرجو ان يكون فيها الكفاءة على المساهمة افضل مساهمة في تنوير اذهان المجموع اللبناني فيصبح واعيا لقضية فلسطين الوعي الذى ترضاه ، وفي توجيه الدولة توجيها مستمرا دؤوبا لتؤدى واجبها على الوجه الاكمل • انه على قيام هذه المدرسة بدورها يتوقف الى حد بعيد ان يقوم لبنان بدوره •